الباب الثالث

الجار في الهدي والسنة النبوية

الفصل الأول : الجارُ في الهدي النّبوي

الفصل الثاني : الجارُ في أحاديث المصطفىٰ ﷺ

الفصل الثالث : التربية النبوية في معاملة الجار

الفصل الأول

الجارُ في الهدي النبوي

منَ المطربِ حقاً أنْ نجدَ في شريعتنا الغرّاء ، ما يزيدُ ترابطَ النَّاسِ بعضهم ببعض ، وهذا يولّدُ المحبَّة ، فمن مظاهرِ التراحمِ بين المسلمين إكرامُ الجار ، والإحسان إليه ، وحفظ حرمته ؛ وفي الهدي النبوي وصايا ملحّةٌ تؤكد هذا الأدبَ وتحميه بل وتغذيه .

ـ لقد أكّدتِ السُّنَّةُ النَّبويّةُ حق الجار ، وجعلته من تمام الإسلام ، وأمرتْ باحترامِ حقوقِ الجوار ، وعظَّمتِ الوفاء به ، كما حدّدت الجوار وميّزتهُ عن غيره ، وجعلتهُ جوارَ المنزلِ والقرابةِ في السَّكنِ .

ـ إنَّ الهدي النَّبوي يكبرُ ظاهرة كلّ فضيلة من مكارمِ

الأخلاقِ بشكل عام ، ولعلَّ ذلك يبدو أظهر وآكد في موضوعِ الجارِ والأقربينَ والأصحابِ والخلاّنِ .

ـ وللجار علىٰ الجار ـ في ضوء الهديِ النّبوي والآدابِ الشرعية ـ حقوقٌ تشبه حقوق الأرحام علىٰ الأرحام ، فللجار حقّ المواصلة بالزيارة والتهادي والعيادة والمواساة والمعونة ، وله حقُّ كفِّ الأذىٰ ، والمناصرة بالحق والنصح له ، وتهنئته ، ومشاركته في مسرّاته ، ومواساته في مصائبه .

ـ إذاً فلا بدَّ أنْ يكونَ التأكيدُ علىٰ الوفاءِ باحترامِ الجارِ ، واحترامِ المعنىٰ الأخلاقي له ، من أجل ذلك جاء الهديُ النَّبويُّ الذي جعل للجار مكانةً رفيعةً من الاحترام ، وكاد يجعل له منَ الحقوقِ ما لصلة القربىٰ والرحم ، كما جاء في الصحيح عن عبد الله بنِ عمر ، وعن أمِّنا عائشة ابنة الصديق ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ قالا : قال رسول الله ﷺ : « مازال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنَّه سيورّثه »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٤ و ٦٠١٥) ، ومسلم برقم =

ـ ولعلَّ ما جاءَ في هذا الهدي النبوي يشبه ما كانَ الأجوادُ الأشرافُ من العربِ يفعلونه في العصرِ الجاهلي ، عندما يجيرون الجارَ من العوزِ والفقر ما دام نازلاً في جوارهم ، بل يضمنون له المال والغنىٰ ، وفي هذا يقول حاتم بنُ عبد الله الطائي مُظهِراً مكانة الجار ، بل له الخيار في المال إن أراد ذلك :

إذا كانَ لي شيئان يا أمَّ مالكٍ فإنَّ لجاري منهما ما تخيّرا[1]

ـ ويذكر ابن سلام أنَّ شبيب بن البرصاء قد قدّم للجار ضماناً من الفقر ، وأماناً شاملاً لماله ، ما دام مجاوراً في قوم شبيب ، إذا ما خسرَ المال ، أو نزلتْ به نازلةٌ من النّوازل ، فإنَّ مال هذا الجار مضمون ، ويرمم نقصه ؛ يقول شبيب :

ترىٰ إبلَ الجارِ الغريبِ كأنَّها بمكة بين الأخشبين مرَادُها

= (٢٦٢٤ و ٢٦٢٥) ، وأبو داود في الأدب برقم (٢١٥٢) ، والترمذي في البرّ والصِّلة برقم (١٩٤٣) .

(١) انظر : ديوان حاتم الطائي (ص٣٩٦) .

يكونُ علينا نقصُها وضمانُها وللجارِ إنْ كانتْ تزيدُ ازديادُها

ـ وقد حبَّبَ الهديُ النبوي بتوجيهاته الحسان ، ونفحاته الوضيئةِ الكريمةِ إكرامَ الجار ، ولكن في حدود الإيمان ، فقد جاء في هديه ﷺ الحثُّ علىٰ إكرامِ الجار ، وأنَّ ذلك من الإيمان فيقول : « مَنْ كان يؤمنُ باللهِ واليوم الآخرِ فليكرمْ جاره »[1] .

ـ ولهذا وجدَ العربُ والمسلمون في الهدي النبوي ما ألِفوه من أخلاقٍ كريمةٍ في الأعصر الجاهلية ، وعندما جاءَ الإسلامُ ، وأيّد هذا الأدب الكريم اللطيف ، ودعا إلى إكرامِ الجارِ ، أقبلَ المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يعملون بالهدي النبوي ، لأنَّ في إكرام الجار في ضوء الإسلام حسنات ، ودخول جنات .

ـ وفي السُّطور التاليات نعيش في رحابِ بعض الأحاديث النبوية التي تتحدث عن الجار في معظم أحواله .

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب برقم (٦٠١٩) ؛ ومسلم في اللقطة برقم (٤٨) .

الفصل الثاني

الجارُ في أحاديثِ المصطفىٰ ﷺ

ـ في أحاديثِ البشيرِ النذيرِ ﷺ مساحات واسعات ، تحدّثَ فيها المصطفىٰ ﷺ عن الجار ، وعن حقوقه وماله وعليه ، ولا يستطيعُ الباحثُ أنْ يستقصي تلكم الأحاديث جميعها ، ولكنا نختار بعض الأحاديث التي توضح أدب الجار في معظم نواحي مكارم الأخلاق .

ـ فلقد حثَّ الحبيب الأعظم ﷺ علىٰ إكرام الجارِ ، وشدّدَ وحذّرَ من إيذائه ، حتىٰ كاد يكونُ إيذاءُ الجارِ مُخرجاً منْ دائرة الإيمان ، أو علامة من علاماتِ فقدِ الإيمان ، لأنَّ أوصافَ المؤمنِ الكريمِ أنْ يكونَ مأمونَ الجانبِ ، كريمَ الجوار ، فكيف بالذي لا يأمن جاره شروره وأذاه ؟ وفي هذا أخرج

الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « واللهِ لا يؤمن ، واللهِ لا يؤمنُ ، واللهِ لا يؤمنُ » قيل : مَنْ يا رسولَ الله؟

قال : « الذي لا يأمنُ جاره بوائقه »[1] .

ـ وعن أبي هريرة أيضاً ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « مَنْ كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فلا يؤذِ جاره »[2] .

ـ إنَّ الذي يؤذي جارَه وجيرانَه ، يتنافىٰ سلوكُه مع مقتضىٰ إيمانِهِ إنْ كانَ مؤمناً ، وهو محروم منْ أوّليات فضائلِ الأخلاقِ ، فالأذىٰ والإيذاءُ ليسا من أخلاقِ المؤمنينَ في جميعِ الأوقاتِ والأحوال ولجميعِ الناسِ ، فكيف بإيذاء الجار لجاره؟

ـ إنَّ للجار حقوقاً علىٰ جاره تجبُ مراعاتها ، ودعا الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ إلىٰ إكرام الجارِ بكلِّ الأحوالِ فقال :

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦) ، ومسلم برقم (٤١) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦١٣٦و٦١٣٨) ؛ ومسلم برقم (٤٨) .

« مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرمْ جاره »[1] .

ـ وعن الحسنِ البصري ـ رحمه الله ـ أنَّه كان لا يرىٰ بأساً أنْ تطعمَ جارَكَ اليهوديَّ والنّصراني منْ أضحيتك[2] .

ـ وفي الأحاديثِ النبويةِ الشريفةِ فيضٌ منْ مكارم الأخلاق ، ومنها أنَّ رسول الله ﷺ بيّن أنَّ خيرَ الجيرانِ خيرُهم لجاره ؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خيرُ الأصحابِ عند اللهِ خيرُهم لصاحبه ، وخيرُ الجيران عند اللهِ خيرُهم لجاره »[3] .

ـ وقال ﷺ لأبي هريرة من حديث طويل : « يا أبا هريرة ، أحسن مجاورة مَنْ جاورك تكن مسلماً »[4] .

ـ ومنَ الأحاديث النبوية الرائعة التي توثّق عرا المحبة

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٤٤١) ؛ ومسلم في الإيمان برقم (٤٨) ، ومالك في الموطأ (٢/٩٢٩) .
(٢) انظر : المنتقىٰ من مكارم الأخلاق للخرائطي (ص٥٦) .
(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٩٤٤) .
(٤) أخرجه الترمذي في الزهد برقم (٢٣٠٥) .

والأخوة بين الجار والجار ، التهادي بينهم في الطعام والشّراب وما شابه ذلك ، إذ إنَّ الجارَ في وصايا الحبيب الأعظم محمد ﷺ هو خيرُ ناصر ومعين ، وخيرُ حارس وأمين ، يطعمُ جارَه منْ طعامهِ إذا هو جاعَ ، ويهدي له من طبخه ولو كان غير ذي حاجة أو يشاركه أفراحه ومسرّاته ، ويتعاون معه على البرّ والتقوىٰ ، ويحفظه في أهله وذريته .

ـ ومنْ حقِّ الجار علىٰ جاره ألا يحتقر هديته مهما كانت ، إذ ليس المقصودُ منَ التَّهادي إلا توثيق عرا المودات ، لا التفاخر والتظاهر ، ففي الهدية مهما كانت تنعقد المودّات ، وتتوثقُ الرَّوابط الاجتماعية بين المسلمين وخصوصاً الجيران ، وفي أحاديث الحبيب المصطفىٰ ﷺ ووصاياه فيض يؤكد ما ذكرناه ، ومنه ما أخرجه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر إذا طبختَ مرقةً فأكثرْ ماءَها وتعاهَدْ جيرانك »[1] .

---

(١) أخرجه مسلم في البرّ والصلة برقم (٣٦٢٥) .

ـ ولا يتوقف نصح رسول الله ﷺ لأصحابه فقط ، وإنَّما يتوجه بالنُّصح في إكرام الجار إلىٰ نساء المسلمين كي يتهادين ، ولو كانتِ الهدية قليلة مثل ظلف الشَّاة .

ـ أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة »[1] .

ـ وها هو النُّصح النَّبوي بإكرام الجارِ يدخلُ بيته الشريف ، ويخص نساءه الطّاهرات ؛ فقد أخرج البخاري عن أمّنا عائشة رضوان الله عليها قالت : قلت يا رسول الله ، إنَّ لي جارين ، فإلىٰ أيّهما أهدي؟!

قال : « إلىٰ أقربهما مِنْكِ باباً »[2] .

ـ إنَّ الأحاديثَ النّبوية كثيرةٌ ، وفيها توصيةٌ عظمىٰ بالجارِ ، وحسنِ الجوارِ ، وتبيِّن إلحاحَ الإسلام علىٰ الوصية

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم .
(٢) أخرجه البخاري .

بالجار ، والتحذير من إيذائه ، ومن كثرة ما أوصىٰ جبريل حبيبنا محمداً ﷺ بالجار ظنَّ الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ أنَّه سينزل تشريع بتوريثه .

* * *

الفصل الثالث

التربية النبوية في معاملةِ الجار

ـ كان الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ يهتمُّ بالجارِ ، ويربّي أصحابه علىٰ معرفةِ حقّ الجار ، وقد عرّفهم أنَّ الجار هو كل مجاور عن اليمين والشّمال إلىٰ أربعين داراً ، وهؤلاء جميعهم لهم حقوقٌ ، فلا يُلحقِ الرجلُ الأذىٰ بجاره ، بل يحميه ، ويعامله بإحسانٍ ، ويقابل جفاءَه بالحلم والصفح والتجاوز والمسامحة والإغضاء .

ـ إنَّ أذىٰ الجارِ لا يجوزُ من جميع النَّواحي ، منْ سرقةٍ ، أو سبابٍ وشتائم ، أو رمي الأوساخ أمام منزله ، ويحافظ علىٰ شرفه ، وألا ينظر إليه بعين الاحتقار ، فقد ينظر بعضُهم إلىٰ جارهم الفقير نظرة ازدراء ، ويمتدُّ بهم الأمر ، فيحتقرون

جارهم المسكين ، لكن أصحاب رسول الله ﷺ تربّوا علىٰ الخلال الحسنةِ والإحسانِ للجار ؛ قال حسَّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه :

فما أحدٌ منّا بمهدٍ لجاره أذاةً ولا مُزْرٍ به وهو عائدُ
لأنا نرىٰ حقَّ الجوارِ أمانةً ويحفظهُ مِنّا الكريمُ المعاهدُ

ـ ولعلَّ التربيةَ النّبوية أوصتْ بحمايةِ الجار ، وكفّ الظلم عنه ، لأنَّ ذلك يؤثّر في طهارة النفوس ، وصفائها ، فما أجمل أنْ ينهض الرجل لإنقاذ جاره من مصيبة نزلت به ، وقد افتخر الصّحابة الكرام بذلك ، قال حسّان بن ثابت رضي الله عنه :

ولا ضيفنا عند القِرىٰ بمدفّعٍ وما جارُنا في النائباتِ بِمُسْلَم

ـ وقال أيضاً :

يواسون مولاهُم في الغنىٰ ويحمونَ جارهم إنْ ظُلِمْ

ـ وفي سجل التربية النبوية نجدُ بابَ الإحسان إلىٰ الجار من أوسعِ الأبواب ، إذ الإحسان إلىٰ الجار عنوان التربية النبوية ، وقد عدّها مِن خصالِ الإيمانِ بالله ، وباليوم الآخر .

ـ وقد تلقّىٰ الصحابةُ الكرامُ هذه التربية عن الحبيب الأعظم ﷺ ، ومن ذلك ما ذكره مجاهد ـ رحمه الله ـ قال : كنتُ عندَ عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما وغلامٌ له يسلخُ شاة ، فقال : يا غلام ، إذا سلختَ فابدأ بجارِنا اليهودي ، حتىٰ قالَ ذلك مراراً ؛ لأنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنَّه سيورثه »[1] .

ـ إنَّ المتأدبين بأدبِ التربيةِ النبوية ، يحافظون علىٰ حقِّ الجار حق المحافظة ، ويحسنون إليه حق الإحسان ، فيبذلون ما يطلبه من مثل : الماء ، والملح ، والنار ، وإعارته ما تعارف النّاسُ استعارته من أمتعة البيت كالقدر ، والصّحون ، والسكين ، وما شابه ذلك .

ولذلك كان العرب يضربون المثلَ في حسن الجوار والإحسان إلىٰ الجار ؛ بأبي دؤاد ، وأبو دؤاد هذا ؛ هو كعبُ بن مامة ، فيقولون : جارٌ كجار أبي دؤاد . وكان أبو

---

(١) أخرجه الشيخان ؛ وقد سبق تخريجه .

دؤاد هذا إنْ هلكَ لجارهِ بعيرٌ أو شاةٌ أخلفها عليه ، وإذا ماتَ الجارُ أعطىٰ أهله ديته من مالهِ .

ـ ومن دعائمِ التربيةِ النبويةِ في معرفةِ حقوقِ الجار احتمال أذاه ، والتغاضي عن هفواته ، والصفح عنه إذا أخطأ ، فإنَّ ذلك من أعلىٰ مراتبِ حسنِ الجوارِ ، وأرفع مراتبِ الكرامة ، وأرفع الدرجات . فقد يكون الصفح عن المذنبِ دواء ناجعاً في الكفِّ عن سوء جواره وخلقه ، وتقويماً لانحرافه ، فيعود الجفاء إلىٰ ألفة ، والبغضاء إلىٰ محبةٍ ؛ أليس ربنا عَزَّ وجَلَّ قد قال : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[1] [فصلت : ٣٤] .

ـ ومنْ ألوانِ التربيةِ النبوية ، ما جاء عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال : « يا أبا الدرداء ،

---

(١) وقد أخذ بعض الفُضلاء معنى هذه الآية وضمّنها بقوله :

بمكارم الأخلاقِ كُنْ متخلّقاً ... ليفوحَ ندُّ ثنائك العَطِر الشذي
واصدق صديقك إنْ صدقتَ صداقةً ... وادفع عدوّك بالتي فإذا الذي

أحسنْ جوار مَنْ جاورك تكنْ مؤمناً ، وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكنْ مسلماً ، وارض بقسم الله لكَ تكنْ من أغنىٰ الناس »[1] .

ـ ومن الألوان والوصايا النبوية في الجار ، ما جاء عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال له : « وأحسنْ إلىٰ جارِكَ تكنْ مؤمناً »[2] .

* * *

(١) انظر في هذا : الترغيب والترهيب (٣/ ٣٥٩) .

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد برقم (٢٣٠٦) من حديث طويل .

هذا والآثار النبوية كثيرة في هذا المجال ، ولا يتسع المقام لذكرها ، واكتفينا بذكر أهمها في هذا المجال .